صلات العراق الثقافية مع بلاد الشام 648-784هـ /1250-1382م

أ.د.فراس سليم حياوي م.د.عباس كريم عبد
كلية التربية الاساسية - جامعة بابل

المقدمة

لعب أهل العراق دورا كبيرا في الحضارة الإنسانية، وكان لهم دور أساسي وبارز في الحضارة العربية الإسلامية سواء كان في المشرق أو في المغرب، وكانت لهم القيادة والرأي لكثير من العلوم، وساعدهم على ذلك الجو العام الذي تعيشه الدولة العربية ومقرها بغداد، ألا إن الغزو المغولي كان حدا فاصلا في تاريخ العراق الحضاري، فقد ترك نتائج سلبية جسيمة على حياة العراقيين فدخل على أثرها العراق حالة من الركود والخمول والتردي الحضاري لتوالي العدوان وتراكم الظلم والاستغلال.

شهدت فترة الغزو وما قبلها ازدياد وتوافد أهل العراق إلى بلاد الشام أفرادا وجماعات وشملت ذلك كل فئات المجتمع وكان لهم دورهم بفضل جهودهم وإسهاماتهم العلمية الواضحة، فوضعوا أثارهم الحية وعلى عدد من ميادين الحياة ، كما خدموا أهل البلاد التي حلوا بها بعلومهم وخبراتهم، ونقلوا خلالها الكثير من خبرات العراق وعلومه ونظمه وفنونه وصناعاته، فنشطت بحضورهم قاعات الدرس وازدحمت على خطبهم الجوامع وبيوت العبادة وكثرت حولهم وعلى زواياهم وربطهم المرتادون وطلاب العلم، وما زالت شواهد حضورهم وأفعالهم وإسهاماتهم تتمثل في كثير من المصنفات العلمية في مختلف علوم المعرفة وفي أثارهم العمرانية الشاخصة المتمثلة بالمساجد والمدارس والزوايا في مدينة دمشق وغيرها من المدن الشامية ولا بد من الإشارة إن أهل العراق من ولد ونشا ودرس في العراق ثم هاجر إلى بلاد الشام.

اختص البحث في الصلات الثقافية مع بلاد الشام خلال العصر المملوكي الأول(648-784هـ) وقد تناول الأسباب التي أدت إلى هجرة العراقيين إلى بلاد الشام، وكذلك تناولنا مناطق الهجرة وأماكن الاستقرار، ثم تطرقنا إلى مشاركة أبرز علماء العراق في التدريس وبناء المدارس.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر المهمة، وتتقدم تلك المصادر كتب التراجم التي زودتنا بمعلومات وافية عن الشخصيات المترجم لها ,الى جانب المادة التاريخية التي رافقت التراجم، ومن تلك الكتب كتاب (تالي وفيات الأعيان) للفضل الصقاعي (726هـ)، الذي زودنا بمعلومات تاريخية كثيرة الى جانب ترجمته لعدد من علماء أهل العراق والذي يعطينا مؤشرا واضحا عن إثرهم الكبير في ميادين العلوم في بلاد الشام وغيرها من مدن العالم الإسلامي، كما قدم اليونيني(ت726هـ) في كتابه (ذيل مرآة الزمان) مادة مفصلة عن علماء أهل العراق اضافة الى ما قدمه من مادة تاريخية متعلقة بموضوع البحث، كما لا ننسى أبو شامة (ت665هـ) في كتابه (الذيل على الروضتين) الذي دعم البحث بمعلومات مهمة عن الموضوع إلى جانب ترجمته لشخصيات عراقية تركت أثارها في الوسط الشامي، وكذلك الذهبي (ت 748هـ)، في عدد من الكتب منها كتاب (العبر) وكتاب (سير إعلام النبلاء) وكذلك كتاب (دول الإسلام)، إلى جانب كتاب الوافي بالوفيات للصفدي(ت 764هـ) وكتاب عيون التواريخ للكتبي(ت 764هـ) وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير(ت774هـ)، كما كان للمقريزي (ت842هـ) في كتابه (السلوك) وكذلك كتاب (المواعظ والاعتبار) والتي تميزت بغزارة مادتها العلمية في حين كان لابن حجر (ت852هـ) في كتابه (الدرر الكامنة) الذي ترجم لعلماء القرن الثامن الهجري، وأخيرا فان لابن العماد الحنبلي(ت1089هـ) أهمية واضحة في صفحات البحث من خلال كتابه الكبير (شذرات الذهب) الذي زودنا بمادة وافية عن التراجم من ناحية وبالمادة التاريخية من ناحية أخرى إلى جانب كتب أخرى يطول الحديث عنها.

- أسباب هجرة أهل العراق إلى بلاد الشام :

كان لأهل العراق في بلاد الشام دور واضح في المشاركة والتفاعل في بناء الحضارة العربية الإسلامية وذلك من خلال حرية الحركة والتنقل والاستقرار في المدن الإسلامية المختلفة ومنها مدن بلاد الشام, وقد استمرت تلك المشاركة خلال مراحلهم التاريخية وكذلك المدة التي نحن بصددها، وبرغم ما خلف الغزو المغولي للعراق من دمار واحتلال فإنه زاد من ارتباط أهل العراق بأهل الشام في مختلف الأصعدة، حيث تولد دافع مهم هو الانتقال والبحث عن موطن آمن من ظلم واضطهاد وتسلط المغول، وساعد على ذلك طول المدة التي استغرقها المغول للوصول إلى العراق[1]، والتي استمرت عقدين من

[1] ـ ابن الأثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم (630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966، ج1/ ص376- 378 ؛ .Contu,C,Histoire Universelle Traduite pareu Gene Aroux, Troisiem on zleme_Douzieme, paris,p.331

الزمان[2]، حيث بدأت تلك الهجرة في زمن العباسيين وازدادت بعد عام 647هـ [3]، فرارا من قبضة المغول وفي هذا يذكر المقريزي بأنهم (تمزقوا في الأقطار) [4]، ويبدو أن خروج أهل العراق من بلادهم قبل وصول المغول وحتى بعد حدوث الغزو كان للأسباب التالية :-

1- هاجر أهل العراق قبل وصول الغزو المغولي للبحث على العون للتصدي للمغول بعد وصول أخبارهم وأفاعيل أصحابهم وما خلفوه من دمار وتسلط، وقد ترجم هذا على ارض الواقع بعدة محاولات منها محاولة المستنصربالله [5] في منطقة الأنبار[6] فاستشهد عام 659هـ/ 1261م مع كثير ممن كان معه من المقاتلين[7]، ويبدو أن هذه المحاولة جاءت بعد نصر المماليك في معركة عين جالوت حيث أعطت لهم العزم على إسقاط أسطورة الدولة التي لا تهزم، وعلى أثر استشهاد الخليفة المستنصر وفد (شيوخ عبادة وخفاجة من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة) [8] وذكروا أنهم يقومون بغاراتهم على التتار فأحسن لهم وجهزهم (بالخلع إلى أهل العراق .. وألبس عدة من أمراء خفاجة الفتوة) [9] وسير معهم الكتب إلى عز الدين أيدمر الأتابكي وكان متأخرا في العراق يأمره بالتوجه واصطحاب أمراء العربان صحبته) [10]، وكذلك محاولة الصالح بن بدر الدين لؤلؤ[11] الذي عاد إلى الموصل بعد رحيله عن العراق فاستشهد مع كثير من أهل الموصل بعد حركته على المغول عام 660هـ/ 1262م [12].

2- انتشار البطالة بين فئات المتعلمين بسبب الأضرار التي لحقت بالمؤسسات العلمية فقد أحرقت المكتبات وقضي على الآثار الإسلامية التي أبدع الفنانون المسلمون في عملها كل هذا التراث المجيد قد أصبح في التراب[13].

3- تردي الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية طيلة عهود السيطرة المغولية أدى إلى هجرة الكثير من أهل العراق إلى الشام في ظل الأضرار التي لحقت بالاقتصاد والاستغلال الذي اتسمت به السياسة المغولية وكثرة متطلبات الجيوش الغازية التي أرهقت أهل البلاد، فعندما قتل المغول شرف الدين[14] سلام عصا (قومه على الكفار وهاجر بعضهم إلى مصر والشام) [15].

4- توجه أهل العراق إلى الشام كان إلى حد كبير ذا سمة قومية لأن سر تلك الهجرات كان صوب الأقاليم والمناطق العربية التي كان الذهاب إليها أوفر أمنا وأكثر يسرا[16].

كما كانت تلك الهجرات تتم بعيدا عن أنظار أجهزة الدولة الاليخانية ورقابتها، فالمهاجرين كانوا يعّرضون أنفسهم لمخاطر شتى وبخاصة عند اكتشافهم من قبل أجهزة المغول الأمنية بحجة التجسس[17].

---

[2] ـ كان الانتقال بمثابة التخلص من القتل والعدوان، كما كان استنجادا بالإخوة الشاميين والالتجاء إليهم لإشعارهم بالخطر الذي يتوجب التصدي له، ومحاولة جمع الصفوف، حتى صارت فكرة الجلاء إحدى الحلول لتلافي ملاقاتهم عند الأمراء المماليك، بعد ان استبعدوا فكرة مصالحة المغول، المقريزي، احمد بن علي(ت845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، د.ت، ج1/ ق2/ ص427- 429.

[3] ـ المقريزي، السلوك، ج1 / ق2 / ص355.

[4] ـ المصدر نفسه، ج1 / ق2 / ص407.

[5] ـ هو المستنصر احمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله العباسي، ينظر عنه أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي(ت 665 هـ/1266م) ، الذيل على الروضتين،دار الجيل,بيروت,1974,ص215- 216؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي(ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، د.ت، ج5 / ص297 .

[6] ـ مدينة على الفرات غربي بغداد ويسميها الفرس فيروز سابور، ينظر الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر بيروت، 1995،ج1/ ص257.

[7] ـ أبو شامة، الذيل، ص 215، 216؛ اليونيني، موسى بن محمد بن احمد(ت726هـ/1341م)، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1954- 1956م، ج1/ ص485؛ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان(748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1966م، ج5/ ص258، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ ص297.

[8] ـ المقريزي، السلوك، ج1 / ق2 / ص476.

[9] ـ المصدر نفسه، ج1 / ق2 / ص501.

[10] ـ ابن عبد الظاهر، محي الدين(ت 692هـ/1293م)، الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط3، الرياض، 1989م، ص194 .

[11] ـ هو اللك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، للمزيد ينظر ابن العبري، غريغرريوس ابن المالطي، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م، ص282 وما بعدها.

[12] ـ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي(ت684هـ/1385م)، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبادة، د.م، 1978م، ج3/ ص311؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 282 وما بعدها.

[13] ـ الصياد، فواد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص281.

[14] ـ وهو شرف الدين بن سلارر صاحب الموصل، العمري، احمد بن يحيى(ت 749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إصدار فواد سزكين، مطبعة شيراوس، المانيا الاتحادية، 1988م، ج3/ ص125.

[15] ـ العمري، مسالك الإبصار، ج3/ ص125.

[16] ـ ابن عبد الظاهر، محي الدين(ت692هـ/1293م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، د.م، 1961م، ص8-9.

[17] ـ ابن الفوطي، عبد الرزاق بن تاج الدين (ت723هـ/1333م)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، دمشق، 1965م، ج4/ ق4/ ص228؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج8/ ص143.

ومع هذا فقد ذهب الأستاذ خصباك[18] الى إن الغزو المغولي قد زاد من ارتباط العراق ببلدان المشرق واضعف علاقته مع الشام، ولا ندري على أي شيء بنى الأستاذ خصباك ما توصل إليه، لا سيما وان ما ذكرناه يؤيد عكس ما ذهب إليه فضلا عن الارتباط الكبير بين المجتمع الشامي والعراقي في أمور كثيرة, ولابد من التنويه أن هجرة أهل العراق إلى بلاد الشام شملت مختلف شرائح المجتمع من تجار وإداريين وأمراء وعلماء وطلاب علم وغيرهم.

ـ مراكز الانتقال وأماكن الاستقرار :كانت الهجرة المغولية كبيرة ومؤثرة على فئات الشعب العراقي، ولا سيما من مناطق العراق الشمالية والوسطى، ولهذا كان رد الفعل كبير حيث شكلت مناطق الشمال والوسط أعلى درجة من الانتقال، ويبدو أن مدينة دمشق كانت صاحبة الحظ الأوفر في استقبال الجالية العراقية في بلاد الشام ويليها مدينة حلب، ولابد من الإشارة أن المصادر التاريخية اهتمت بالنخبة الممتازة من المجتمع من المشهورين والأعلام من العراقيين، وتقدمت مدينة بغداد مدن العراق في عدد النازحين منها كونها من المدن الكبيرة، فضلا عن كونها العاصمة السياسية للدولة العربية منذ خمسمائة سنة، إلى جانب تعرضها إلى ثقل الهجمة المغولية ولهذا حاول البعض تركها والانتقال إلى دمشق وقراها المجاورة[19]. كما ازداد عدد أهل واسط في المدن الشامية ولاسيما دمشق ويبدو أن الخلفية الثقافية للمدينة شاركت في هذا الانتقال فضلا عن النجاح الذي لقيته الطريقة الرفاعية في المدن الشامية، حيث شيدت عدد من الزوايا الرفاعية، الأمر الذي دفع بعدد من فقرائهم ومريديهم إلى الهجرة، كما كثر عدد المهتمين بالعلوم الدينية[20]. وتميز أهل تكريت بمهارتهم ونجاحهم في التجارة، حيث ظهرت عدة أسر في هذا المجال، وكانت لهم علاقات بالسلطة نتجة نجاحاتهم في مشاريعهم التجارية، وأثر ذلك في نيل عدد من أفراد تلك الأسر المناصب الإدارية المهمة، وربما هذا ما دفع الكثير منهم إلى الاستقرار بدمشق وغيرها من مدن الشام[21].كما نزح عدد من أهل الموصل بعد الغزو المغولي وكانت دمشق محطتهم المهمة للاستقرار، وتميز بعض النازحين بمهارتهم في صناعة التحف المعدنية وكثرة الأعمال الموجودة تدل على كثرة عددهم في المدينة[22].وشاركت مدينة أربل المدن العراقية الأخرى في النزوح إلى مدن الشام ولاسيما وإن عدد من أبنائها المستقرين ببلاد الشام لهم علاقات وصلات مع الأيوبيين إلى جانب تعرض المنطقة المستمر إلى غارات المغول[23]، وعلى العموم كان نزوح أهل أربل إلى مدن الشام من جهة وإلى مدن العراق الأخرى من ناحية أخرى، وشملت التراجم لهؤلاء مدرسين وأدباء وقضاة[24].

ومما ساعد عملية الانتقال بين العراق والشام انتشار القبائل العربية في أطراف الغربية، وأثر ذلك في اختلاط المتنقلين بعرب القبائل الذين يوفرون لهم الأمان والأمور الإدارية الأخرى بحيث أصبحت لهؤلاء القبائل مصدر عيش من خدمتهم لهؤلاء خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري، لاسيما وإن الانتقال كان يتطلب التخفي والحذر من عيون المغول[25]، فضلا عن استخدام الحجاج لهذا الطريق بعد أن قطع طريق العراق إلى الحجاز نتيجة فقدان الأمن وقد ذكر العمري ذلك بقوله (فأما العراقي فتأخر لاضطراب ملوك، واضطرار أهله إلى الشقاق، وعادوا إلى العادة الأولى، إنه لا يحجج منهم إلا من جاء

---

[18] ـ جعفر حسين، العراق في عهد المغول الاليخانيين، مطبعة العاني، بغداد، 1968م، ص133.

[19] ــ لمتابعة ذلك ينظر تراجم بعض الأعيان في الكتب التالية، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص202؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م، ج7/ ص142؛ المكي، التقي الفاسي (ت832هـ)، المنتخب المختار، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، 1938م،ص91؛ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن احمد(ت795هـ/1392م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952- 1953م، ج2/ ص362.

[20] ــ المعاضيدي، عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص 227 وما بعدها.

[21] ــ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج4/ ق1/ ص183؛ الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر(ت 726هـ/1325م)، تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سويله، دمشق ، 1974م، ص110؛ ابن الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت 739هـ/1338م)، حوادث الزمان وأبناءه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، نسخة مصورة عن نسخة المكتبة المركزية بباريس تحت رقم 6739 عربي ويتناول السنوات 689- 699هـ، ورقة424.

[22] - Ashtor, E,Ascial and Economic History of the Near East in the Meddle Ages, London, 1976, p. 289.

[23] ـ تكررت غزوات المغول على المنطقة منذ نهاية العقد الثالث من القرن السابع الهجري، الذهبي. العبر،ج5/ ص136 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت 808 هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى(كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..)، منشورات دار الاعلمي، بيروت، 1971م، ج5/ ص275 .

[24] ـ ذكر ابن الفوطي في ترجمته لابن المستوفي الاربلي متولي الديوان في اربل أنموذجا للنزوح الى داخل مدن العراق نحو قوله (ثم انتقل الى الموصل لما ورد المغول الى اربل فلم يزل بها الى إن مات)، عبد الرزاق بن تاج الدين(723هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق د.مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ، ص 135.

[25] ـ ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص8 وما بعدها؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج3/ ق4/ ص228؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج 8/ ص143.

من دمشق وحج منها) [26] وظل كذلك إلى أن تم الصلح بين المغول والمماليك[27].ويبدو أن انعكاس طريق العراق إلى الشام كان له فوائد جمة فقد سهّل وادّام العلاقات بين أهل العراق وأهل الشام، وأثر ذلك في الرحلات العلمية بين الطرفين، وانكسر حاجز الخوف من القدوم إلى العراق نتيجته أوضاعه السياسية واحتلال المغول[28]له .

وأخيرا فقد كان هناك اهتمام كبير بالطريق المؤدي إلى الشام، حيث كانت تقدم تسهيلات لأهل العراق ولاسيما وإن السلطات المملوكية كانت تهتم بأهل العراق من جانبين أحدهما في اختيارهم لأمراء ممن يتعاطفون معهم نتيجة قضيتهم[29] وثانيهما في تميز الوافدين إلى الأراضي الشامية وبين الغرباء عنه[30].

ب . المشاركة في التربية والتعليم :كثرت المدارس في بلاد الشام في عصر المماليك وأصبحت تعد مركزا لنشاط فكري وعلمي كبير، وأسهم في ذلك عدد من علماء الجالية العراقية، وتوافد عليها الطلاب والدارسون، ونشطت فيها حركة التأليف ولاسيما في الموضوعات الدينية، فتوجه العلماء نحو العلوم الدينية في المدة التي تحقق بصدرها وعنوا بها وكان أغلب تأليفهم في شرح المتون والتعليق والشروحات والاختصارات. وكانت للرعاية الكبيرة التي لقيته العلوم، أثرها الواضح في جذب الكثير من علماء العراق إلى المشاركة في الحياة الفكرية لبلاد الشام.

1- التأديب في الكتاتيب :أسهم عدد من أهل العراق في التعليم في الكتاتيب ومن هؤلاء :

- أبو إسحاق إبراهيم بن المحزمي[31]: سكن دمشق ومارس تعلم الصبيان وكانت له حلقة عامرة، وهناك الكثير ممن تلقوا علومهم الأولى على يده[32].
- الخيوطي السنجاري: سكن دمشق وكان يؤدب الأطفال في الجامع، ويؤم الناس بالصلاة بجامع الفسقار بدمشق[33].
- ناصر الدين البصري: كان له حلقة في الجامع يلقن فيها القرآن الكريم فضلا عن إمامته للناس في الجامع، كما مارس التدريس في المدرسة[34] الصالحية[35].
- أبو الحارث البغدادي: كان له حلقة لتأديب الصبيان[36].
- شمس الدين السنجاري: الذي كان يؤدب الصبيان بدمشق[37]، وأخذ عنه الكثيرين[38].
- أبو عبد الله البغدادي: الذي سكن دمشق وكانت له حلقة لتعليم القرآن الكريم[39].
- اليأس الأربلي[40]: وكانت له شهرة واسعة في العراق، قدم دمشق وصارت له نفس السمعة تصدر قائمة القرّاء في الجامع الأموي فيها فضلا عن تعليمه للصبيان و كان(عجبا في تعليم الصبي النطق بالحروف الصعبة كالزاء، بحيث أن بعض الناس كان يعتقد فيه أن تلك الكرامة له ... وذكروا أنه ختم عليه أربعة آلاف نفس سوى تلقن النصف والربع..) [41].

2- التدريس في المدارس:

---

[26] - مسالك الإبصار،ص 330؛ الصقاعي، تالي، ص112.

[27] - للمزيد ينظر العمري، مسلك الإبصار، ص340؛ الحسيني، احمد بن علي بن الحسين الداودي(ت 828هـ/1424م)، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1918م، ص136.

[28] - يذكر الذهبي في ترجمته لابن القريرة البزاز البغدادي(ت 697هـ)،(كنت اتحسرالى الرحلة إليه) أي كان يرغب بالقدوم الى العراق، احمد بن عثمان(ت748هـ)، معرفة القراء الكبار، تحقيق محمد سيد جار الحق، مطبعة دار التأليف، د.م، 1969م،ج2/ ص556، في حين يذكر ابن فهد المكي عن زين الدين العراقي رغبته الشديدة في الرحلة الى العراق، لحظ اللحاظ بذيل طبقات الحفاظ، مطبوع مع كتاب طبقات الحفاظ للذهبي، د.م، د.ت، ص220 وما بعدها .

[29] – ابن الجزري، حوادث الزمان، ورقة 582.

[30] – ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر احمد (ت 851هـ/1447م)، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1977م، م1/ج3/ص 479.

[31] - المعمر أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الحين علي بن صدقة الحزمي(709هـ)، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6/ ص19.

[32] - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5/ص343، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص24.

[33] - توفي سنة(707هـ)، ينظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ص472.

[34] - ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي(ت 852هـ/1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، 1966م، ج1/ص241.

[35] - كانت المدرسة الصالحية غرب المدرسة الجوهرية الحنفية والمدرسة الطبية وقبلي المدرسة الشامية الجوانية وتعرف بتربة أم صالح، النعيمي، عبد القادر بن محمد(ت927هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مطبعة الترقي، دمشق، 1948م، ج1/ ص316.

[36] - أبو الحارث البغدادي الصالحي(ت735هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5/ص179.

[37] - شمس الدين السنجاري(ت722هـ)،، الذهبي، من ذيول العبر، ص122.

[38] - أخذ عنه السبكي وخرج له البرزالي مشيخة ، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ص217.

[39] - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البغدادي(ت759هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ص376.

[40] - اليأس بن علوان الاربلي(ت675هـ)، الذي صرا على يد مشايخ العراق قبل قدومه الى بلاد الشام، الذهبي، محمد بن محمد(ت748هـ)، المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان، تحقيق عباس المنشداوي، بيروت، 1988، ص277-278؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت 874هـ/1469م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، 1986، ج3/ ص97.

[41] - الذهبي، المختار، ص277-278؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3/ص97.

شارك الكثير من أفراد الجالية العراقية في التدريس بمختلف المدارس في بلاد الشام ومن هؤلاء الذين درسوا في مدينة دمشق:

ـ كمال الدين السنجاري[42]: من علماء العراق الذين عملوا في مجال التدريس في المدرسة الخاتونية[43] والصادرية في دمشق، ثم عين وزيرا للخليفة المستنصر[44] في مصر (وسافر مع الخليفة إلى بغداد) [45] في محاولة لاسترجاع بغداد واستشهد معه[46].

ـ أبو بكر البغدادي[47]: كان يمارس التدريس في المدرسة العادلية[48].

ـ جمال الدين الأربلي[49]: وكان من ضمن مدرسوا دار الحديث الأشرفية [50]في دمشق.

ـ عز الدين بن سبط بن الجوزي[51]: من الشخصيات المميزة فكان فاضلا واعظا سار على نهج أبيه درّس بالمدرسة العزّية[52] بعد وفاة أبيه وظل حتى وفاته[53].

ـ شمس الدين الشهرزوري[54]: من رجال العلم الذين تولوا التدريس في المدرسة [55]القيمرية[56] حيث حصر واقفها أن يكون التدريس فيها لشمس الدين وذريته من بعده[57]، فدّرس بها ولده صلاح الدين ثم[58] ابنه من بعده، وحصر التدريس بهذه المدرسة لشمس الدين وعائلته هي دليل واضح على المكانة العلمية بهذا الرجل.

ـ مجد الدين الكردي الأربلي[59]: من العلماء المعروفين، كان عارفا بعلم القراءات (سمع واستمع ودرّس بالكلاسة)[60] جوار الجامع الأموي[61].

ـ ابن خلكان الأربلي[62]: رجل فاضل تمتع بكفاءة إدارية عالية المستوى، ويظهر ذلك من خلال أشرافه على عدد[63] من المدارس في دمشق، وقد اعتمد على عدد من العراقيين في التدريس بهذه المدارس[64].

ـ شهاب الدين الأربلي[65]: مارس التدريس في عدد من المدارس، كما أسند له منصب القضاء في الشام[66].

---

[42] ـ كمال الدين أبي القاضي عزيز الدين السنجاري(ت660هـ)، الكتبي، عيون التواريخ ، ج20/ ص268.

[43] ـ وهي المدرسة التي وقفتها الخاتون أم شمي الملوك أخت الملك دقاق، بدران، عبد القادر، مناداة الأطلال، دمشق، 1960، ص127.

[44] ـ أمير المؤمنين المستنصر بالله احمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس (ت660هـ)، المقريزي، السلوك، ج1/ص545، طبعة بيروت؛ ابن تغري بردي، ج7/ص206.

[45] ـ الكتبي، عيون التواريخ، ج20/ ص268.

[46] ـ اليونيني، ذيل، ج2/ص104؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج20/ ص268.

[47] ـ أبو بكر البغدادي(ت662هـ)، أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج5/346، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[48] ـ من مدارس دمشق شمالي الجامع الأموي وشرق الخاقاناه الشهابية، ينظر عنها، النعيمي، الدارس، ج1/ص359.

[49] ـ جمال الدين الاربلي(ت663هـ)، أبو شامة ، الذيل على الروضتين، ص234.

[50] ـ أمر الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن العادل بعمل دار الأمير قايمر داراً للحديث، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص171؛ جيده، احمد خالد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام، الموسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2001، ص108 .

[51] ـ عبد العزيز أبو محمد عز الدين(ت660هـ)، النعيمي، الدارس، ج1/ص552.

[52] ـ انشأ هذه المدرسة عز الدين أيبك صاحب صرخد سنة636هـ، في شمالي ميدان القصر خارج دمشق، النعيمي، الدارس، ج1/ص550-552.

[53] ـ النعيمي، الدارس، ج1/ص552.

[54] ـ القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي بن عاصم الشهرزوري، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ ص272؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7/ص257.

[55] ـ انشأ هذه المدرسة الأمير ناصر الدين الحسين بن علي بسوق الحريميين، ووقفها للقاضي شمس الدين الشهرزوري، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ص272؛ النعيمي، الدارس،ج1/ص235؛ بدران، مناداة الأطلال، ص141.

[56] ـ الصفاعي، تالي، ص103؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ص272.

[57] ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ص272.

[58] ـ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن الحسين بن علي الكردي الاربلي(ت 677هـ)، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص358.

[59] ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص358.

[60] ـ اليونيني، ذيل، ج3/ص321؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص358.

[61] ـ قاضي قضاة الشام ابن خلكان الاربلي، أبو شامة، الذيل، ص215.

[62] ـ أشرف ابن خلكان على عدد من مدارس دمشق منها العذراوية والاقبالية والركنية والبهسية والصادرية والناصرية والفلكية، أبو شامة، الذيل، ص215؛ ابن طولون، قضاة الشام، ص98؛ القلائد الجوهرية، ج1/ص123 .

[63] ـ أبو شامة، ذيل، ص215؛ ابن طولون، قضاة الشام، ص98؛ القلائد الجوهرية،ج1/ص123.

[64] ـ قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن المجد الاربلي(ت738هـ)، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج9/ص314؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص118 .

[65] ـ درس في عدد من المدارس منها الاقبالية والرواحية وتربة أم صالح، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3/ص373، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14/ص181؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج8/ص37؛ المقريزي، السلوك، ج3/ص249، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9/ص314، النعيمي، الدارس، ج1/ص162، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ص118.

[66] ـ مجد الدين احمد بن المجد الاربلي(ت770هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ص193.

ـ مجد الدين أحمد الأربلي[67]: الذي اتجه إلى دمشق وسكن فيها واتجه إلى التدريس بمدارسها ومنها المعرفة بتربة الملك الظاهر بيبرس[68].

3ـ المشاركة في بناء المدارس: بدأت حركة إنشاء المدارس في عهد نور الدين زنكي ونشطت كثيرا في الشام في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وحلفائه من بعده، وقد اعتمد هؤلاء على أعيان الجالية العراقية الذين كلفوا بمهمة الإشراف والمتابعة، وكان من أبرز الشخصيات العراقية التي أوكلت لهم تلك المهمات شرف الدين ابن عصرون الموصلي[69] وبهاء الدين ابن شداد[70] وغيرهم، وقد استقدم هؤلاء الكثير من الشيوخ والمدرسين من العراق، الذين تخرج على أيديهم مجموعة من العلماء والفقهاء وأئمة المدارس والقضاة وموظفي الدولة. وعمل هؤلاء على خدمة الدولة الزنكية ثم الأيوبية، ثم نقل مختلف الأسس والصيغ والمستنجدات التي كانت تسير عليها مدارس العراق ولاسيما المدرسة المستنصرية[71]، حيث قام السلاطين والأعيان ببناء المدارس على صفتها من حيث الدراسة على المذاهب الأربعة والعلوم الأخرى، وربما اخذوا ببناء تلك المدارس على غرارها في التصميم الهندسي وما كانت تحتويه من دواوين وغيرها[72]. كما نهجت الكثير من المدارس في بلاد الشام على نهج المدرسة المستنصرية في جمع المذاهب الفقهية الأربعة في مدرسة واحدة حيث ساهمت في ترسيخ وحدة البناء الاجتماعي وخّرجت نخبة من رجال الدولة، وزادت في تأثير العلماء في المجتمع الإسلامي هذا من جانب، كما شاركت الجالية العراقية في تشييد المراكز الرئيسية لاكتساب العلم وهي المساجد والربط والزوايا والمدارس وأحاطتها بالأوقاف الكثيرة والرعاية الكبيرة، وكانت إلى جانب وظيفتها العلمية كان هناك قسما داخليا لإيواء الطلبة والمدرسين في المدرسة.

4. أهم المدارس التي شيدتها الجالية العراقية في بلاد الشام :

ـ المدرسة البهادرائية :

من أبرز مدارس دمشق في المدة التي نحن بصدرها شيدها نجم الدين أبو محمد عبد الله[73] البادرائي[74] الذي كان (فقيها عالما دينيا صدرا جليل القدر) فضلا عن كونه كان (رسول الخلافة[75] وقاضي بغداد) [76]. وحضر افتتاحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف وسائر أرباب الدولة والقضاة والعلماء[77]. وسارت المدرسة البهادرائية على نهج مدارس العراق ولاسيما المدرسة النظامية فوقفها مؤسسها على الشافعية لأنه كان من طلاب المدرسة النظامية ومن شيوخها في التدريس فيما بعد، فضلا عن نظامها وأوقافها وشيوخها وبقية العاملين فهو على نحو المدارس العراقية، لدرجة أن أغلب العاملين فيها كانوا من الجالية العراقية فمن معيديها كمال الدين سلار الأربلي[78] وجمال الدين البادرائي[79] وعلاء الدين ابن الخراط[80] وأبو الخير البغدادي[81]، وكان خازن كتبها الفقهية بهاء الدين البغدادي[82]، في حين

---

67 ـ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ص193.

68 ـ الأسد الضاري الملك الظاهر ركن الدولة أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البنداري الصالحي التركي(ت676هـ)، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ص235؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7/ ص94.

69 ـ الإمام شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون الموصلي(ت585هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3/ص53؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6/ص 109 .

70 ـ بهاء الدسن أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عنبة، اشتهر بابن شداد لان شداد جده لامه، وقد توفي أبيه وهو طفل وتربى عند أخواله بني شداد ولهذا نسب إليهم(ت632هـ)، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3/ص84 وما بعدها .

71 ـ المستنصرية أول جامعة أسلامية كبرى في بغداد، وسميت بهذا الاسم نسبة الى الخليفة المستنصر بالله منصور بن محمد الظاهر(ت640هـ)، ينظر ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص53 وما بعدها؛ داود، نبيلة عبد المنعم، التقاليد والأنظمة العلمية في المدرسة المستنصرية، بحث منشور ضمن كتاب ندوة بغداد في التاريخ، منشورات دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1990م، ص254 وما بعدها. .

72 ـ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص53 وما بعدها.

73 ـ العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد بن الحسن البغدادي الشافعي البادرائي(ت655هـ)، المقريزي، السلوك، ج1/ ص497، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7/ص57؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج5/ص269.

74 ـ نسبه يرجع الى طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا من نواحي واسط، الحموي، معجم البلدان،ج1/ص316-317 .

75 ـ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج5/ص269.

76 ـ كان يقوم بمهمة السفارة للخلافة العباسية للتوسط بين سلاطين وأمراء الشام ومصر لإزالة الخلافات فيما بينهم، الكتبي، عيون التواريخ، ج20/ص115 .

77 ـ أبو شامة، الذيل، ص198؛ اليونيني، ذيل، ج1/ص170؛ الكتبي، عيون التواريخ،ج20/ص115؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ص191 .

78 ـ الكمال سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الاربلي(ت670هـ)، مفتي الشام، ينظر اليونيني، ذيل، ج2/ص278؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج20/ص424؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ص262؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ ص331-332؛ النعيمي، الدارس، ج1/207.

79 ـ الشيخ جمال الدين عبد الرحمن بن نجم الدين بن عبد الله بن محمد بن الحسن البادررائي(ت671هـ)، اليوينبي، ذيل، ج3/ص306؛ الصفاعي، تالي،ص108؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج21/ص183، النعيمي، الدارس، ج1/ص207.

80 ـ علاء الدين بن عثمان بن الخراط(ت739هـ)، وكان معيد بالمدرسة البادرائية، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6/ص122؛ النعيمي، الدارس، ج1/ص215.

81 ـ أبو الخير البغدادي(ت742هـ)، ابن حجر، الدرر الكامنة،ج3/ص316.

82 ـ الفقيه بهاء الدين البغدادي(ت692هـ)، الذهبي، المختار من تاريخ ابن الحريري، ص359.

أنبطت نظارتها إلى وجيه الدين التكريتي ثم في أسرته فيما بعد[83]. وأصبحت المدرسة البهادرائية (من أحسن مدارس دمشق لا بل أحسنها على الإطلاق) [84].

- **دار الحديث النبوي:(السامرية):** أوقف هذه المدرسة الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس البغدادي[85] السامري[86] الذي سكن دمشق ووقف داره لتكون داراً للحديث[87]. وكان سيف الدين من أصحاب الأموال[88]. وموقع المدرسة مقابل سوق البزورية من جهة الشرق[89].

- **دار القرآن السنجارية :** وقف هذا الدار علاء الدين علي بن إسماعيل السنجاري[90] والتي تقع تجاه باب الجامع الشمالي المسمى النطافين[91]، ورتب وهيأ جماعة يقرؤون القرآن ويتلقونه، وله مواعيد حديث فيها[92].

- **المدرسة السلامية :**شيدها الخواجا عز الدين حسين[93] السلامي[94]، بدري الريحان بدمشق بعد مجيئه من بغداد، وجعلها داراً للقرآن، وكان من كبار الأموال[95].

- **المدرسة الطرخانية:** وقفها سنقر الموصلي وجعلها مدرسة لأصحاب أبي حنيفة بدمشق[96] وكانت قبلي المدرسة البادرائية[97] وكان محلها يعرف بدار طرخان[98].

- **المدرسة البزورية:**شيدها أبو بكر محفوظ البغدادي المعروف بابن البزوري[99] بسفح قاسيون فوق سوق القطن، واحتوت هذه التربة على مكتبة كبيرة فيها أنواع الكتب[100].

- **التربة التكريتية:** وتقع بسوق الصالحية على سفح قاسيون، شيد تقي الدين توبة التكريتي[101]، وتعّد من أجمل المباني في مدينة دمشق وفي داخلها غرفة مزخرفة بالجص، وهي تشبه في شكلها طراز المباني الشائعة في مدن العراق ومنها مدينة تكريت[102].

- **الربط[103] التكريتي:** شيده التاجر الكبير وجيه الدين محمد التكريتي[104] وكانت له حضوةٌ عند الحكام[105]،(ولاسيما عبد الملك الظاهر بيبرس كان يجله ويكرمه لأنه قد أسدى إليه جميلا في حال أمرته قبل أن يلي السلطنة..) [106] ودفن في رباطه الذي يقع في بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون، وكان من أهل البر والتقوى[107].

- رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل[108].

---

[83] - شمسانس، حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، منشورات دار الأفاق الجديدة، د.ت، ص251؛ رضا، محمد سعيد رضا، المدرسة البادرائية بدمشق، مجلة كلية الآداب، العدد/19، جامعة البصرة، د.ت، ص71 وما بعدها.

[84] - الكتبي، عيون التواريخ، ج20/ص116.

[85] - سيف الدين أبو العباس احمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي(ت696هـ)، النعيمي، الدارس، ج1/ص54-55؛ جيده، المدارس، ص111.

[86] - نسبة الى مدينة سامراء وهي بلدة بين بغداد وتكريت، الحموي، معجم البلدان، ج3/ص173 وما بعدها.

[87] - الصقاعي، تالي، ص25-28؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج8/ص66، النعيمي، الدارس، ج1/ص72؛ علي، محمد كرد، خطط الشام، مطبعة التراقي، دمشق، 1927، ج5/74.

[88] - جيده، مدارس، ص111.

[89] - بدران، مناداة الأطلال، ص44.

[90] - علاء الدين علي بن إسماعيل ين محمود السنجاري(ت735هـ)، أبو الفدا، المختصر، ج2/ص470؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ص300؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج14/ص171؛ النعيمي، الدارس، ج1/ص12.

[91] - . النعيمي، الدارس، ج1/ص11 وما بعدها.

[92] - أبو الفدا، المختصر، ج2/ص470؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2/ص300؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج14/ص171؛ جيده، مدارس، ص106.

[93] - الخواجي عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامي التاجر، المقريزي، السلوك، ج4/ص259، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[94] - لقب بالسلامي نسبة الى مدينة السلام بغداد، الحموي ، معجم البلدان، ج2/ص405 .

[95] - المقريزي، السلوك، ج4/ص259، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ص141.

[96] - النعيمي، الدارس، ج1/ص529 وكذلك ج2/ص330.

[97] - بدران، مناداة الأطلال،ص179.

[98] - النعيمي، الدارس، ج1/ص415.

[99] - أبو بكر بن معتوق التاجر البغدادي المعروف بابن البزورية(ت694هـ)، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج4/ق1/ص286؛ الذهبي، العبر، ج5/ص383؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج2/ص573؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج1/ 13 .

[100] - ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج4/ق1/ص286؛ الذهبي، العبر، ج5/ص383؛ ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج1/ 13.

[101] - التكريتي نسبة الى بلدة تكريت وهي بلد مشهورة بين بغداد والموصل ، الحموي، معجم البلدان، ج2/ص120.

[102] - الصقاعي، تالي،ص60؛ الذهبي، العبر، ج5/ص387.

[103] - الرباط هو(بيت للصوفية ومقر لهم ولكل قوم دار والرباط دارهم، المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، الخطط المقريزي، مطبعة النيل، القاهرة، 1344هـ، ج4/ص292 .

[104] - وجيه الدين بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي، النعيمي، الدارس، ج2/ ص150.

[105] - كانت له علاقات واسعة مع رجال السياسة، وكانت ترد اليه كتب الخليفة في أوقات، وكانت كتاباته مقبولة عند الملوك حتى ملوك الإفرنج، النعيمي، الدارس، ج1/ص151؛ جيده، مدارس، ص127.

[106] - النعيمي، الدارس، ج1/ص151؛ جيده، مدارس، ص126-127.

[107] - النعيمي، الدارس، ج1/ص150-151.

[108] - النعيمي، الدارس، ج1/ص151-152؛ جيده، مدارس، ص128.

أما مدارس بلاد الشام الأخرى:

- **المدرسة الهكارية:**أوقفها الأمير شرف الدين الهكاري بمدينة القدس وجعلها داراً للحديث النبوي[109].

- **المدرسة الخاتونية:** أوقفت هذه المدرسة اغل خاتون بنت شمس الدين بن سيف الدين البغدادية سنة 755هـ، وهي من باب البر والتقوى، ولإدامة فتح المدرسة فقد أوقفت لها المزرعة المعروفة بظهر الحمل في مدينة القدس[110]، وهي بباب الحديد جوار الحرم، ثم أكملت عمارتها فيما بعد وجعلت قبر السيدة خاتون القازانية[111].

- **المدرسة السلامية:**أوقفها سراج الدين عمر بن ابن القاسم السلامي، وجعلها دار للقرآن ولهذا تعرف بمدرسة دار القرآن السلامية[112]. وهناك مدرسة أخرى تحمل نفس الاسم، وهي أيضا دار للقرآن وقفها الخواجا مجد الدين أبو الفداء إسماعيل السلامي، والظاهر أنها أوقفت بعد السبعمائة[113].

- **زاوية المجرد البغدادي:**شيدها المجرد البغدادي ببلدة الخليل وكانت في غاية الحسن والجمال وكانت دارا للقرآن الكريم، كما ضمت الزاوية بعض الغرف التي خصصت لمبيت الطلبة[114].

- **المدرسة الموصلية :** نسبة إلى أبي بكر الموصلي[115] وتقع بباب شرف الأنبياء بجوار المسجد الأقصى[116]، وظلت هذه المدرسة تمارس نشاطها لمدة طويلة[117].

النتائـــج

توصل البحث إلى النتائج التالية:

- اتسع حضور أهل العراق خلال العصر العباسي الاخير مع ازدياد الغزو المغولي، وقد ازداد وبشكل كبير قبيل الغزو المغولي بحيث أصبح يشكل ظاهرة بارزة لاسيما وان أهل العراق رفضوا الخضوع للمحتل المغولي، ولهذا أصاب العراق خراب اقتصادي واجتماعي.

- ظاهرة الانتقال إلى بلاد الشام لم تكن مقترنة بحالة الغزو المغولي فحسب بل استمرت طيلة حكم المغول وما بعدها وشملت مختلف شرائح المجتمع.

- تركزت مراكز الانتقال في مناطق الشمال والوسط وذلك بسبب ثقل الهجمة المغولية على هذه المناطق، وكانت مدينة بغداد قد سجلت أعلى هجرة لأهل العراق من المدن العراقية الأخرى.

- تمتعت بلاد الشام بهدوء بعد انتصار المماليك بمعركة عين جالوت حيث توحدت كل من بلاد الشام ومصر تحت حكمهم وأدى ذلك الاستقرار في جذب أهل العراق إلى الشام.

- صارت بلاد الشام منطقة استقبال لأهل العراق ومكان عمل بعد انتشار البطالة في فئة المتعلمين بسبب الأضرار التي لحقت بالموسسات التعليمة، فقد أحرقت المكتبات وقضي على الآثار الإسلامية.

- تردي الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية طيلة السيطرة المغولية أدى إلى استمرار هجرة أهل العراق إلى بلاد الشام في ظل الإضرار التي خلفها الغزو.

- توجه أهل العراق إلى بلاد الشام كان ذا سمة قومية لان تحرك الجماعات صوب الأقاليم والمناطق العربية.

- شارك الكثير من أهل العراق في بناء مدارس خاصة بهم، في حين مارس كثير منهم التدريس في تلك المدارس أو مدراس الشام الأخرى، وتفوق قسم منهم وصارت له المشيخة والزعامة.

---

[109] - علي، خطط الشام، ج5/ ص120.

[110] - أكملت عمارتها فيما بعد أصفهان شاه بنت قازان سنة782هـ، وقد وقفت عليها الكثير، جيده، مدارس، ص161.

[111] - أوقفت هذه المدرسة سنة 561هـ ، العليمي، الإنس الجليل، ج2/ص45؛ علي، خطط الشام، ج5/ص124؛ جيده، مدارس، ص166.

[112] - العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، 1961م،ص234؛ جيده، مدارس، ص164.

[113] - الزاوية هي مكان اصغر من الربط والخانقات، وهي ركن الدار ثم أصبحت تطلق على الصغيرة التي لا تسمح إلا للأشخاص قليلي العدد منقطعين لعبادة الله تغالى، ويقام فيها الأذكار، وقد كثرت بكثرة الطرق والمشايخ، وكان لكل زاوية شيخها المسؤول عنها، وكان له الحق في تحديد الإعداد التي تسمح لها بالاقامة الدائمة، كما كان له الحق في جعل إقامة بعضهم موقتة، السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب(ت771هـ/1369م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وتعليق محمد علي النجار وآخرون دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص126؛ عبد الدايم، عبد الله، التربية عبر التاريخ في العصور القديمة حتى القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ص161؛ احمد، احمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، الإسكندرية، 1977م، ص125 .

[114] - ابن حجر، أنباء الغمر، ج1/462؛ العليمي، الأنس الخليل، ج2/ص132.

[115] - أبي بكر الشيباني الموصلي المتوفى في أواخر القرن الثامن الهجري على الأغلب، نجم، رائق يوسف وآخرون، كنوز القدس، ميلانو، ايطاليا، 1983م، ص423.

[116] - العارف، المفصل، 243.

[117] - يذكر العارف تفاصل عن هذه المدرسة وان احد مدريسها كان السيد جار اللطفي كان يتقاضى راتبا قدره عشر عثمانيات، المفصل، ص243، ويبدو إن مقدار الراتب هذا كان في الفترات اللاحقة..

ـ كان إنشاء المدرسة الجديدة في العصر المملوكي حدث مهم، وهذا يتجسد في الاحتفال الذي يقام بهذه المناسبة وقيمة ما يحضره من الحاكم والأمراء وكبار موظفي الدولة وكان الفقهاء والقضاة والأعيان يحيطون بهم في صحن المدرسة.
ـ كانت للمدرسة أوقاف كثيرة لإدامة العمل بها حيث توفر تلك الأوقاف الكثير من الموارد لمواصلة عمل المدرسة وأداء رسالتها في المجتمع.
ـ كان التيار الفكري العلمي أقوى من التيار المذهبي، بمعنى إن الرغبة في تحصيل العلم والمعرفة كثيرا ما كانت تجرف في طريقها النزعات والاتجاهات المذهبية.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، عز الدين محمد بن عبد الكريم (630هـ/1232م)
1. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966م.

احمد، احمد رمضان
2. المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، الإسكندرية، 1977م.

بدران، عبد القادر
3. مناداة الأطلال، دمشق، 1960.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت 874هـ/1469م)
4. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، 1986.
5. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.

ابن الجزري، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت 739هـ/1338)،
6. حوادث الزمان وأبناءه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، نسخة مصورة عن نسخة المكتبة المركزية بباريس تحت رقم 6739 عربي ويتناول السنوات 689- 699هـ.

جيده، احمد خالد
7. المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.

ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي(ت852هـ/1448م)
8. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، 1966م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت 626هـ/1228م)
9. معجم البلدان، ط2، دار صادر بيروت، 1995.

الحسيني، احمد بن علي بن الحسين الداودي(ت 828هـ/1424م)
10. عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب , المطبعة الحيدرية , النجف , 1918م.

ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م)
11. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1995م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت 808 هـ/1405م)
12. تاريخ ابن خلدون المسمى(كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر..)، منشورات دار الاعلمي، بيروت، 1971م.

خصباك، جعفر حسين
13. العراق في عهد المغول الاليخانيين، مطبعة العاني، بغداد، 1968م.

داود، نبيلة عبد المنعم
14. التقاليد والأنظمة العلمية في المدرسة المستنصرية، بحث منشور ضمن كتاب ندوة بغداد في التاريخ، منشورات دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1990م،

الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان(748هـ/1347م)
15. العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1966م
16. من ذيول العبر، الكويت، د.ت.معرفة القراء الكبار، تحقيق محمد سيد جار الحق، مطبعة دار التأليف، د.م، 1969م.

17. المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان، تحقيق عباس المنشداوي، بيروت، 1988، ص277-278؛

رضا، محمد سعيد رضا

18. المدرسة البادرائية بدمشق، مجلة كلية الآداب، العدد/19، جامعة البصرة، د.ت.

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب(ت771هـ/1369م)

19. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وتعليق محمد علي النجار وآخرون دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

20. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطحاني وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964-1971م

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي(ت684هـ/1385م)

21. الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبادة، د.م، 1978م.

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي(ت665هـ/1266م)

22. الذيل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، 1974م، وكذلك طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت 764هـ/1362م)

23. الوافي بالوفيات، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م.

الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر(ت 726هـ/1325م)

24. تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سويله، دمشق ، 1974م.

الصياد، فواد عبد المعطي

25. المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

ابن طولون، محمد بن علي(ت953هـ/1546م)

26. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد احمد دهمان، د.م، 1949م.

27. قضاة الشام(الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام)، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق 1966م.

ابن العبري، غريغرريوس ابو الفرج بن هارون المالطي(ت1286هـ/1869م)

28. تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي(ت 1089هـ/1678م)

29.شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، د.ت .

ابن عبد الظاهر، محي الدين(ت 692هـ/1293م)

30. الروض الظاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط3، الرياض، 1989م.

31. تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، د.م، 1961م

العليمي، مجير الدين الحنبلي(ت928هـ/1521م)

32. الإنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، المطبعة الحيدرية، النجف، 1968م.

العمري، احمد بن يحيى(ت 749هـ/1348م)

33. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إصدار فواد سزكين، مطبعة شيراوس، المانيا الاتحادية، 1988م.

العارف، عارف

34. المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، 1961م،

عبد الدايم، عبد الله

35. التربية عبر التاريخ في العصور القديمة حتى القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م.

علي، محمد كرد

36. خطط الشام، مطبعة التراقي، دمشق، 1927.

ابن الفوطي، عبد الرزاق بن تاج الدين (ت723هـ/1333م)

37. تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، دمشق، 1965م.

38. الحوادث الجامعة الحوادث والتجارب النافعة، تحقيق د.مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ.
ابن فهد المكي،
39.لحظ اللحاظ بذيل طبقات الحفاظ، مطبوع مع كتاب طبقات الحفاظ للذهبي، د.م، د.ت.
أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل(ت 323هـ/1331م)
40. المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د.ت،
ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر احمد (ت 851هـ/1447م)
41. تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1977م.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر(774هـ/1272م)
42. البداية والنهاية، بيروت، 1966م.
الكتبي، محمد بن شاكر(ت764هـ/1363م)
43. عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، بغداد، 1980م.
المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت845/1441م)
44.السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، د.ت، وكذلك طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
45. الخطط المقريزي، مطبعة النيل، القاهرة، 1344هـ.
المكي، التقي الفاسي (ت832هـ/1428م)
46. المنتخب المختار، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، 1938م
المعاضيدي، عبد القادر سلمان
47. واسط في العصر العباسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983
النعيمي، عبد القادر بن محمد(ت927هـ/1520م)
48. الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مطبعة الترقي، دمشق، 1948م.
نجم، رائق يوسف وآخرون
49. كنوز القدس، ميلانو، ايطاليا، 1983م.
ابن الوردي، زين الدين عمر(ت750هـ/1349م)
50. تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م
اليونيني، موسى بن محمد بن احمد(ت726هـ/1341م)
51. ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1954- 1956م.
Ashtor, E,Ascial and Economic History of the Near East in the Meddle Ages, London, 1976.
Contu,C,Histoire Universelle Traduite pareu Gene Aroux, Troisiem on zleme_Douzieme, paris.